

أحمد قاي

سورة العنكبوت

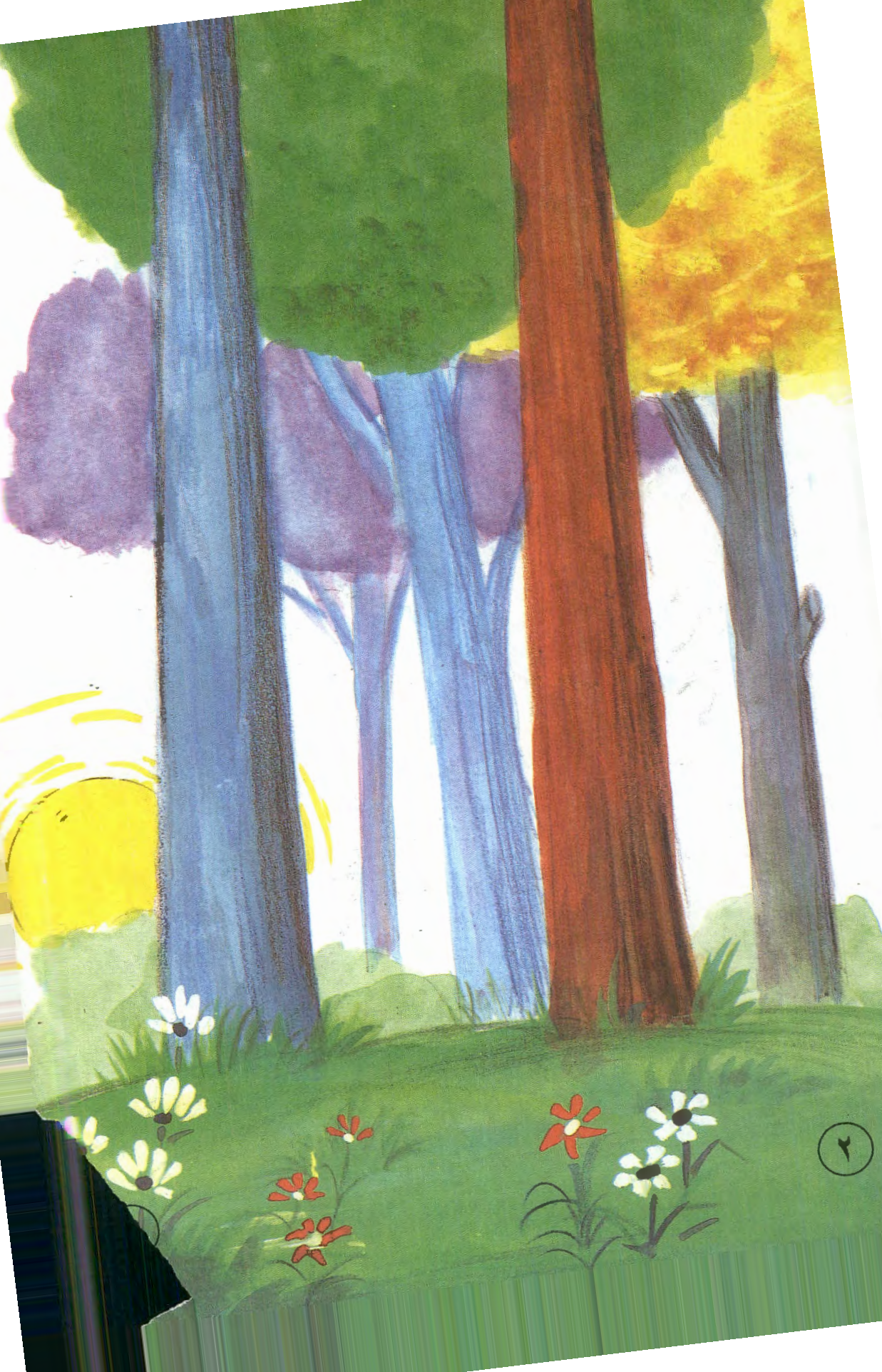
تأليف
حمدي عمارة



رسوم
مائل بدران

الدار المصرية اللبنانية





أَسْأَلُ نَفْسِي دوماً: أين ومتى رَأَيْتُهَا؟ هل رَأَيْتُهَا في منامي، أم في
بِقْظَتِي؟! ولا عَجَب، فَإِنَّهَا أَجْمَلُ الْحَدَائِقِ جَمِيعاً! تُسَوِّرُهَا الْأَشْجَارُ
الْبَاسِقَةُ، وَتَكْسُو أَرْضَهَا الْحَشَائِشُ الْخَضِرَاءُ السُّنْدُسِيَّةُ. . وَتَنْتَشِرُ فِيهَا
أَحْوَاضُ الْوَرْدِ وَالْأَزْهَارِ وَصُنُوفُ الْأَشْجَارِ، وَتَنْسَابُ فِيهَا جَدَاوِلُ الْمِيَاهِ
الْفُضْيَةِ الرِّقْرَاقَةِ. . مَا أَبْهَاهَا! . . مَا أَعْطَرَ عَيْبَرَهَا وَمَا أَرْقَ نَسَائِمَهَا! كَأَنَّهَا
جَنَّةٌ!!.

مَنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ عَشَّشَتِ الْعَصَافِيرُ فِي إِحْدَى أَشْجَارِهَا. . وَكَانَتْ كُلُّ
الْعِشَاشِ صَغِيرَةً، إِلَّا عُشّاً وَاحِداً، فَقَدْ بَدَأَ كَبِيراً يَلْفَتُ النَّظْرَ. . وَلَا غَرَابَةَ!
إِذْ كَانَتْ تَعِيشُ فِيهِ الْجَدَّةُ مَعَ أَبْنَائِهَا وَأَحْفَادِهَا الْعَصَافِيرِ، وَكَانَتْ تَعِيشُ
الْعَصَافِيرُ عِيشَةً هَانِئَةً، وَتَقْضِي أَوْقَاتَهَا فِي حُبٍّ وَسَعَادَةٍ، وَكَانَتْ الشَّجَرَةُ
سَعِيدَةً أَيْضاً بِسُكَّانِهَا الْعَصَافِيرِ الْوَادِعَةِ. . الطَّيْبَةِ.



كانت على مقربة من شجرة العصافير
شجرة جرداء عارية من الأوراق، وكان
بها عُشٌ وحيد تملكه حِدَاةٌ . . وهذه الشجرة
الجرداء لم تسكنها الطيور الوديدة منذ أن
عششت فيها الحِدَاة، فقد كانت شريرة، شرسة،
سيئة الطباع، وعلى درجة كبيرة من حُبِّ النفس
والأنانية، فلم تكن تحب إخوانها الطيور، ولا
تتودد إليهم، ولا تتعاون معهم، أي تعيش
لنفسها فقط .

ولم تكن تصحو من نومها مبكرةً، وتظل ساهرة
تفكر وتدبّر في أذى الطيور الصغيرة الضعيفة، بجانب
ما تسببه للناس من مضايقات، بما تخطفه من الأفراخ
بالمنازل المجاورة.

ذات يوم كانت الجِدَّة واقفةً على أحد أغصان
شجرتها الجرداء تستطلع المكان، ولّفت نظرها العصفير
تَحَوِّطُ بالجِدَّة، والصغار تُغَرِّدُ بِأَغْرُودَةِ الجِدَّة، والجِدَّة
غاية في السعادة. . تأملتهم الجِدَّة،
ثم حانت منها التفاتة إلى عشم
الكبير، أحست بالضيق،
وحدثت نفسها في غيظ
قائلة :



- هذه العصافير الصغيرة سعيدة بعشها الكبير الجميل، وأنا.. أنا
الحدأة الكبيرة تعسة، وعُشِّي صغير كئيب، كيف أراهم فرحين وأنا حزينة
دائماً؟! وما هم أولاء ينشدون بأصواتهم تلك الأغاريد العذبة، وأنا لا
أستطيع أن أغرّد مثلهم، فصوتي مزعج.. لن أسكت على هذا أبداً،
فكيف أطيق ذلك؟.. لن أحتمل.. سأسب لهم الكدر والنكد فلا
يمرحون، وأخيراً أصواتهم فلا يغردون، ويصبحون تعساء مثلي.. لكن
كيف؟ كيف؟

جعلت الحدأة تفكر في طريقة تضايق بها العصافير، وبعد برهة
تهلل قلبها.. وقالت في نفسها:

- يا لها من فكرة!.. سأجعلهم يصيحون ويكون ويصرخون، وأنا
أضحك منهم، سأضحك كثيراً.. كثيراً..

وانطلقت الحدأة لتمارس سُورَها وأذاها.. وانصَرَمَ النهارُ،
وغربت الشمس، وأقبل الليل. نامت العصافير، ونامت كل الطيور، إلا
الحدأة، فإنها لم تنم، وجعلت تَرْمُقُ عُشَّ العصافير ببصرها الحاد، وتردد
في نفسها قائلة:

- متى ينقضي الليل ويأتي الصباح، وتطير العصافير وتدع العش .
متى . . متى؟ وسرحت الجدّة في مستقبل أيامها، حين يكون لها أبناء
وأحفاد مثل جدّة العصافير، لكن سرعان ما طردت تلك الخيالات نظراً
لكسلها الشديد، واستطردت في أحلامها حتى غلبها النعاس، فنامت نوماً
عميقاً طويلاً، صحت فجأة، فأخذت تنظر حولها كالمنجولة، فوجئت
بالعصافير راقدة في عشاها، وبعد لحظات انتهت إلى أنها ظلت نائمة حتى
رجعت العصافير من أماكن الحبّ، فاغتازت لقوات فرصتها . . وفي تلك
الليلة لم يغلبها النوم، وظلت ساهرة حتى الصباح . وما إن غدت العصافير
تاركة عشاها حتى أسرع إلىه، ورقدت بداخله، وتحدث نفسها في نشوة:

- ما أجمل عُش العصافير وما أرحبه! . . سأنام على هذا القشّ الناعم
حتى أشبع . .

نامت الجدّة نوماً مريحاً هادئاً، وبعد أن طعمت العصافير حتى
ملأت بطونها، طارت الجدّة، ومن خلفها أبناءها، وأحفادها في سرب
جميل، قاصدين شجرتهم بالحديقة، وحين وصلوا إلى العش، فوجئوا
بالجدّة راقدة بداخله! . . أصيبت العصافير بالدهشة . . ووفق إشارة الجدّة
ظلت العصافير تلعب وتتقافز فوق الأغصان، حتى تصحو الجدّة وتدع
العش .

صحت الحداة من نومها . . عندئذ دنت منها جدة العصافير وقالت

في رقة :

- نوماً هنيئاً يا عزيزتي الحداة . . لعلك أخطأت عُشَّك ؟ .

ردّت الحداة في دهاء قائلة :

- لم أخطيء عشي يا صديقتي ، ولكن داهمني المرض فجئتُ

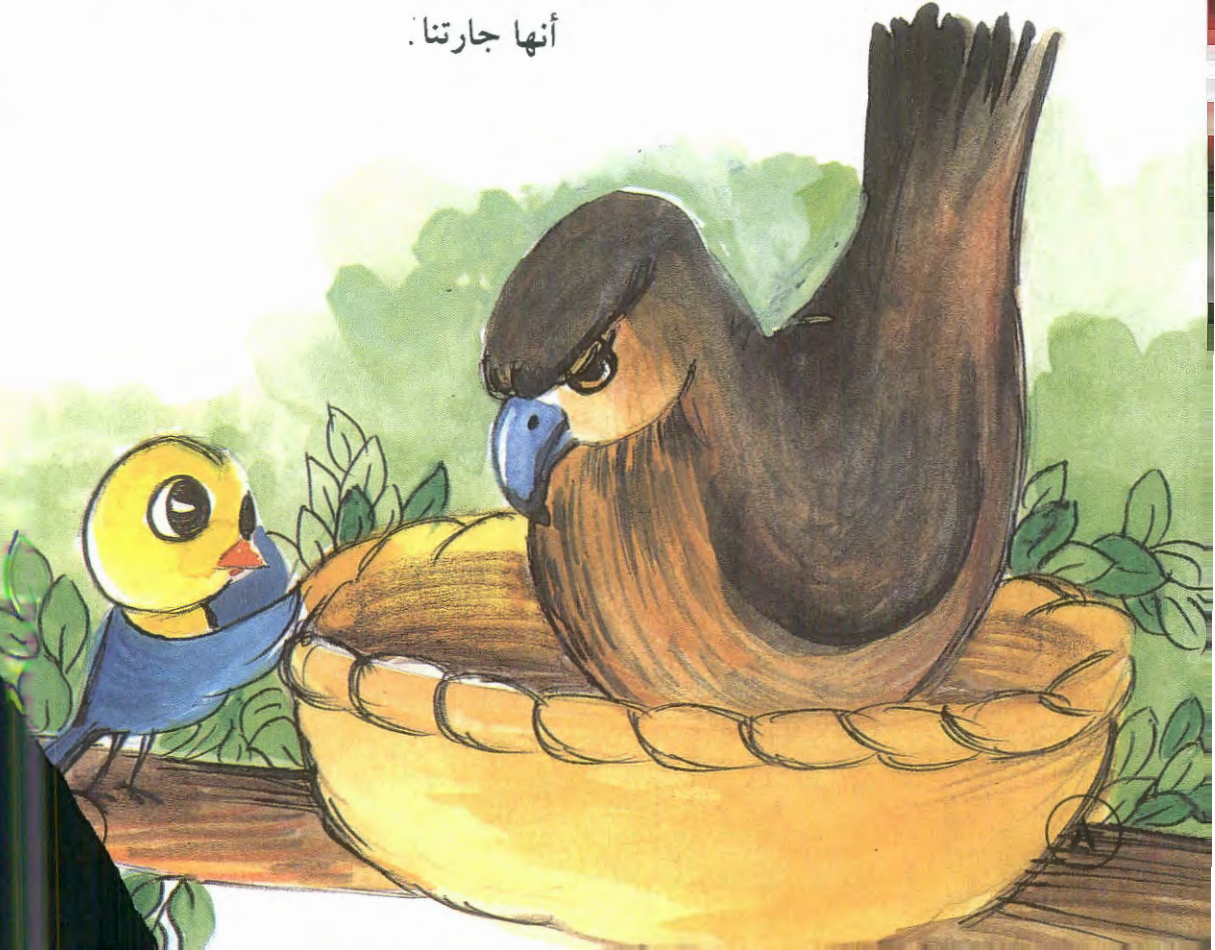
لأستريح في عشكم . . ثم أضافت وهي تتظاهر بالضعف :

- وما زلت أشعر بالمرض ، وأستأذنكم في قضاء فترة أخرى .

سمعت العصافير شكوى الحداة ، عندئذ قالت لهن الجدة :

- الحداة في وقت شدة ، ويجب مساعدتها ، كما

أنها جارتنا .



اقتنعت العصافير برأي الجدة، إلا عصفوراً صغيراً، فلم يقتنع
أساساً بكلام الحدة، وبالأخص حين استطردت قائلة في خبث:
- يمكنكم أن تستريحوا في عُشِّي من تعب النهار، لا فرق بيننا،
عُشِّي عُشُّكم.
خُدت العصافير بما قالته الحدة، ما عدا الصغير الذي همس في
أذن جدته قائلاً:

- كيف صدقت الحدة يا جدتي؟! .. إنها لثيمة .. مُخادعة ..
وتلومه الجدة قائلة:

- كلا يا صغيري العزيز، لا أحب أن أسمع منك مثل هذا الكلام!
.. يجب أن نساعد الحدة في شدتها، كما يجب أن نتعاون مع إخوتنا
الطيور.

كبت العصفور مشاعره،

وسكت على مضض،

وما لبثت الجدة أن



تقدمت العصافير إلى عُش الحداة، وبالطبع لم يتذوقوا طعم الراحة في
عش الحداة، ولكنهم تحملوا التعب من أجل جارتهم. ومكثت الحداة في
العش حتى وقت متأخر، حينئذ يئست العصافير أن تدع الحداة عشهم،
وقضوا في عشها ليلة قلق.

وفي صباح اليوم التالي، طارت العصافير إلى الحقول المجاورة،
وكان الجوع قد قرص معدة الحداة فصاحبتهن، وفي العودة رأوها تسبقهن
إلى عشهم!.

استغربت العصافير مَسَلَّك الحداة، وتيقنوا من خداعها، واستيلائها
على العش، وعندئذ قالت الجدة للعصفور الصغير:
- لقد كُنْتُ على حَقٍّ يا صغيري.

اجتمعت العصافير لتشااور في أمر الحداة المعتدية الباغية، سمعت
الجدة ما اتفق عليه أبنائها وأحفادها من محاربة
الحداة، كما ارتفع صوت العصفور الصغير
قائلاً في شجاعة

وثورة:





- يجب أن نُلقِّنَ الحداة درساً لا تنساه .

ثم التفت إلى جدته متسائلاً :

- ما قولك يا جدتي ؟ .

فكرت الجدة برهة ثم قالت في رهبة :

- يجب أن نحكم عقولنا ، ولا داعي للانفعال ، كما يجب أن ندرس

مقدار قوة عدونا . . أنسيتم أن الحداة قوية وشرسة ، وأن منقارها مسنون ،

ومخالبها حادة ، وأخشى أن تُلحِق الأذى بأحدكم .

عندئذ تساءل أكبر الأبناء :

- وماذا ترين يا أمي ؟ .

قالت الجدة بصعوبة :

- نهجر الشجرة والحديقة ، ونبحث عن حديقة أخرى ، نعيش فيها

في أمان وسلام ، وبلاد الله واسعة ! .

واعترض العصفور الصغير قائلاً في إصرار:

- لن نهجر الشجرة، ولا الحديقة..

ثم أضاف مُعَبِّراً:

- كيف نهجر الحديقة.. وكثيراً ما طَرُنَا في سمائها، ولعبنا على

أرضها؟.. كيف نهجر عَشْنَا وقد تَرَبَّيْنَا فيه جميعاً؟.. كيف نهجر

شجرتنا المورقة؟.. لَكُم تقافزنا ومرحنا وغرَدْنَا فوق أغصانها وحول

أحواض الورد والزهور! وكم داعبنا أوراقها! وكم تنسمنّا عبيرها! صعب

يا جدتي.. بل مستحيل.. مستحيل!!..

ثم استطرد العصفور الصغير في عزم وقوة:

- إنه مصيرنا ولا بد من مواجهته،

لن نهرب ولن نتخاذل، ويجب

علينا أن نتصدى للحدأة، وأن

ندافع عن عَشْنَا حتى النهاية

مهما كانت التضحية،

وثقوا أننا أقوى من



الحدأة بمبدئنا وباتحادنا، وبهجومنا المفاجيء عليها، والنصر حليفنا
بإذن الله.

وعاد يقطع الصمت قائلاً في ذكاء:

- يجب أن نُكثِّفَ الهجوم، ونركّز على نقاط الضعف، عندئذ نشل
حركاتها، ونسبب لها الارتباك والذهول، فلا تتمكن حتى من الدفاع عن
نفسها.

كانت العيون جميعاً على العصفور الصغير ترمقه بإعجاب، وقد
دبت في قلوبهم الحمية، واشتعلت حماسة، ثم التفتوا إلى الجدة التي
برقت عيناها وقالت في صدق شديد:

- لقد أصابَ أصغر أحفادي، وإني فخورة به، ولكن... يجب ألا
تأخذنا الحماسة فنندفع بدون روية فنجني ما لا يُحمدُ عقباه... ولنخطط
ونُدبر، ونُعِدَّ عُدَّتَنَا... هيا... فلا وقت نُضيِّعه.



ومع أول خيوط الصباح انطلقت العصافير - وفي مقدمتهم العصفور الصغير - إلى حيث الحدأة النائمة، الحالمة، وانقضوا عليها جميعاً ينقرونها في رأسها وعينيها، فهبت الحدأة من نومها فزعاً وأصابها الذعر والرعب من هول الهجوم، وحاولت الدفاع عن نفسها بمنقارها ومخالبها، فخمشت العصفور الصغير فأصابته، ومع ذلك ارتفع صوته قائلاً:

- شددوا الهجوم.. شددوا الهجوم.

وانقضت العصافير بشراسة على الحدأة، فلم تستطع المقاومة، ولم تجد بديلاً عن الفرار من العش والشجرة، وتنطلق العصافير في مطاردتها كأنها النسور، لتفر أيضاً من الحديقة.



عادت العصافير إلى الشجرة، وحيث العصفور الصغير الجريح
لتجد الجدة قائمة على إسعافه بين إعجابها، وما تلبث أن تتعاون أسرة
العصافير في بناء عُشٍّ جديد أشد روعة وجمالاً، وارتفعت أصواتهم
بأغرودة النصر.



سلسلة أصدقائي

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثانية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

رقم الإيداع ٤٨٢٨ لسنة ١٩٩٣

الترقيم الدولي

I.S.B.N

977 - 270 - 081 - 6



الدار المصرية اللبنانية
طباعة - نشر - توزيع
١٦ شارع عبد المطلب ليهود - ت ٢٤٢٠١٩٠ - ف ٢٤٢٠١٩٠
١٦ شارع عبد المطلب ليهود - ت ٢٤٢٠١٩٠ - ف ٢٤٢٠١٩٠
AL - DAR AL - MASRIAH AL - LUBNANIAH - Printing - Publishing - Distribution
16 Abd El Khalil Street St. P.O. Box 2922 Cairo - Egypt Tel 3923525-3926743 Fax 3926618 Cable Dar Shado